حنين العباسيين إلى بغداد:

كانت أغراض العباسيين العسكرية ـ كما قلنا ـ تفرض عليهم الصدود عن بغداد والإكثار من الإقامة في الرقة، كما فعل المنصور وهارون الرشيد وغيرهما من خلفاء بني العباس، وقد أشار الرشيد نفسه إلى هذا الموقع العسكري الممتاز الذي انفردت الرقة وتميزت به على بغداد، وذلك لما اجتاز بغداد وعبر جسرها في طريقه من الري إلى الرقة رأساً دون أن يقيم في العاصمة، وذلك سنة 189، فقال ما هذا نصه: "إني لا طوي مدينة ما وضع بشرق ولا غرب مدينة أيمن ولا أيسر منها، وإنها لدار مملكة بني العباس ما بقوا وحافظوا عليها. ما رأي أحد من آبائي سوء ولا نكبة فيها. ولنعم الدار هي، ولكن أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق والبغض لائمة الهدى والحب لشجرة اللعنة مع ما فيها من المارقة والمتلصصة ومخبفي السبل، ولولا ذلك ما فارقت بغداد" (1) من هذه الجملة يتجلي رأي العباسين في فضل بغداد وحنينهم إلى الإقامة فيها، وحسرتهم على مفارقتها، لولا ما يعنيهم من الأشراف عن كثب على ما يجرى في بلاد الشام أو ما يجرى في ديار الجزيرة شرقى الفرات، والاهتمام بقمع الفتن الناجمة من هناك، فما أن مات أبو العباس السفاح سنة 136 حتى طلعت الفتن بعضها في أثر بعض من تلك الاقطار طبقاً لما توقعها الرشيد.

الفتن تترى:

وها هي الاحداث تترى على عدوتي الفرات الأعلى وما وراءهما شرقا وغربا بحيث لم يخل منها عصر من عصور العباسيين الأول بعد السفاح، فمن خلع إلى خلاف في أيام أبي جعفر المنصور إلى فتن عادت جذعة بين القيسية واليمانية في الشام، ومن مؤامرات لخلع الرشيد، إلى قتال دام بين الأبناء المجندين من العجم وبين قبائل العرب، إلى أحداث أخرى تدل على أن هؤلاء الخلفاء الأول من بني العباس كانوا على صواب في تخوفهم من القلائل الناجمة عن تلك الاصقاع، وفي استعدادهم لمواجهتها؟

1- انظر رواية ابن الأثير لهذه الكلمة في الكامل (6/77)